الفصل الثاني
الثوابت في شريعة الإسلام من القرآن

نصوص القرآن والسُّنَّة الصحيحة مِنَ الثوابت والأصول التي لا يَعتريها نقص ولا تطوير إلى يوم الدين، وينبثق منها:

١- العقيدة والإيمان: فعقيدة التوحيد مما تميَّز به الإسلام وازدهر بها، وعلا بها عَنْ كلِّ العقائد الفاسدة والمبدَّلة والمحرَّفةِ.

وهي ثابتة ثبوت الجبال الراسيات، وصاحبها أقوىٰ شكيمة وثباتًا وعلوًّا.

هذه العقيدة اشتملت على:

- أسماءِ الله تعالىٰ وصفاته، وهي ثابتة لا تتغير.
- توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهيَّة، وتوحيد الربوبيَّة.
- معاني كلمة التوحيد (لا إله إلَّا الله، محمدٌ رسول الله)، وشروط الانتفاع بها، وهي عشرة: (العلم، واليقين، والانقياد، والقبول، والمحبة، والإخلاص، والصدق، والموالاة، والثبات، والعزَّة).
- وكذلك ما تضمنته مِنْ ترك كُفْر الشِّرك بأنواعه (شرك العبادة، وشرك المحبَّة، وشرك الدعاء، وشرك التشريع، وشرك التفريق)، وكفر التكذيب والجحود والنكران، وكُفْر الاستهزاء والسخريَّة، وكُفْر مَنْ بدَّل شرع الله بشرع غيره، أو فضَّل حكم غير الله وقضىٰ به واعتقد بأفضليته وصلاحيته، وكُفْر التشبه بالكافرين والإعجاب بهم، والافتخار بالانتساب إليهم، وتفضيلهم عن المسلمين، والميل والركون إليهم، وحب الإقامة بينهم والتسمِّي بأسمائهم، والذهاب إلىٰ معابدهم وكنائسهم، ومشاركتهم في عباداتهم وأعيادهم، واعتبارهم أفضل مِنَ المسلمين.

openkandil.com

● وكذلك ترك الجاهلية، سواء عصبيتها، أو تبرُّجها، أو ظنَّها، أَو حُكْمُهَا، أو الفخر بالأنساب والطعن فيها، وربا الجاهلية، ودماء الجاهلية، والنياحة، ولطم الخدود، والقول بأقوال الجاهلية «كالرفاء والبنين»، وغير ذلك.

● والإيمان بالله ﷻ وبكتابه وبرسوله وباليوم الآخر وبالقدر، وحقوق الله ﷻ على عبيده، وحقوق رسوله ﷺ، ومعاني العبوديَّة والشوق واللجوء إلى الله تعالى، والاستعانة والاستغاثة به والخوف منه ورجاؤه والتعلق برحمته جلَّ وعلا.

فأيُّ شيء مِنْ هذه العقيدة يمكننا تجديده أو تحديثه؟!

❁ ❁ ❁

● إِنَّ القضية ليست في التجديد؛ ولكنها في طريقة العرض.

ولقد مررتُ بتجربة مفيدة جدًّا في هذا المجال، وخاصَّة بعد أَنْ سمعت كثيرًا مِنَ الدُّعاة يتحدَّثون في التوحيد، ولكن بطريقة يُشوبها المَلل، وقد تُقسِّي القلب، مِنْ كثرة التكرار، ومِنَ اللَّهجة الحادّة الشديدة، وقد سبق لنا ذكر الحديث عنها.

وما كنت أَتحدث فيه هو نفس الكلام الذي تحدَّث فيه الآخرون، فليس هناك جديدٌ يُضاف أَو قديمٌ يُحذف، ولكن التميُّز في طريقة العرض ونبرة الصوت، وجذب المستمع للحديث، وعدم حشو المعلومات أو تكرارها وكثرتها؛ لأَنَّ كثرة الكلام يُنسي بعضُه بعضًا، وعرض المعلومة بأسلوب أكثر جاذبية، ومِنْ خلال تفسير القرآن وآيات التوحيد، وأحاديث النَّبي ﷺ؛ وقصص القرآن والسُّنَّة، ولما قمت بهذه التجربة وجدت أَنَّ مَنْ حضر يَشعر أَنَّ شيئًا جديدًا يقرع أُذنه، ويقع في قلبه، وأضاف إلى سمعه شيئًا جديدًا.

❁ ❁ ❁

٢- العبادات: يتميز الإسلام بنظام فريد في العبادات التي تُهذِّبُ النفس، وتُرقِّقُ القلب، ويسمو بها الإنسان، ويَصل بها إلى الرحمن ﷻ دون واسطة، وتمنعه مِنَ الفحشاء والمنكر، وأكل أموال النَّاس بالباطل، أَو ظلمهم، وتلزمه بالخلق الحسن، والأدب القويم. والعبادات اليوم هي نفس العبادات التي أَدَّاها رسول الله ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فالطهارة والوضوء، والصلاة والخشوع، والجُمَع والجماعات، ورمضان والأعياد، والحج والزكوات يلزم فيها كلها الاتباع، ويحرم فيها الابتداع، قال ﷺ: **{ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }**(١)، وقال أيضًا: **{ لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ }**؛ فأيُّ مجال للتجديد فيها؟!

❁ ❁ ❁

٣- الحلال والحرام: وقد فَصَّل الله تعالى ما حرَّمه على العباد، وجعله معدودًا على الأصابع، وجعل الحلال متسعًا كبيرًا، فمَنْ تعلَّم الحرام وتجنَّبه وقع في الحلال والمباح، وتعلمُّ الحرام وتجنُّبه فرضٌ على كل مسلم ومسلمة.

وما حرَّمه الله تعالى وشدَّد عليه، وجعله مِنَ الكبائر، هل يستطيع أَحدٌ أنْ يقول إنه حلال نافع؟

ولقد وصف الله ﷻ مَنْ يفعل ذلك بالكذب على نفسه وعلى الناس، وتوعده بالعذاب الشديد فقال تعالى: **(وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ)** [النحل: ١١٦].

ولقد أَحلَّ الله الطيبات وحرَّم الخبائث، وحرَّم الشّرك، وعقوق الوالدين، وقتل النفس بغير الحق، وشرب الخمر، والسّحر، والرِّبا، والزِّنا، وأكل أَموال

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الأذان، ب: الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، ح (٦٣١).

الناس بالباطل؛ مِنَ الرِّشوة والسَّرِقة والغشِّ، وحرَّم قولَ الزُّور والغيبة والنميمة وقذف المحصنات، وحرَّم الفتوىٰ بغير علم، وأنْ يُحمدَ الإنسان بما لم يفعل؛ فهذه المحرَّمات سهلٌ معرفتها وتجنُّبها، فهل هناك مجالٌ في تجديدها أَو تعديلها ؟

❁ ❁ ❁

٤- الأحكام: كالمحرَّمات مِنَ النساء، والمواريث (وهل تعلم أَنَّ علم المواريث مما تميَّز به الإسلام في العالم كله إلىٰ اليوم، وما زالت دول كثيرة غير إسلامية تأخذ منه الكثير، وتصوغه في قوانين بلادها؟) فهل هناك مجالٌ للتجديد فيها أَو التعديل؟!

❁ ❁ ❁

٥- المعاملات: أحلَّ اللهُ البيعَ، وحرَّم الرِّبا، وحرَّم الغِشَّ والنَّجَش والميسِر والقِمار، وجعل الدين المعاملة، معاملة مع الله، ومعاملة مع الناس.

وحارب المكوس وفَرَضَ الضرائب علىٰ الناس بغير وجه حقٍّ أو ضرورة، وأعطاهم حرِّيتهم وحركتهم في التجارة، وفرَضَ الزكاةَ، وحثَّ علىٰ الصدقات، فأيّ دين ونظام أَعظم مِنْ هذا؟!

❁ ❁ ❁

٦- الأخلاق: حرَّم الإسلام الكذب. فهل يمكن أنْ يكون مُباحًا إِلَّا في ما أباحه الرسول ﷺ في الصلح بين المتخاصمين، وعلىٰ الأعداء، وفي التجمُّل بين الأزواج. ودعا إلىٰ الصدق ومكارم الأخلاق؛ مِنَ الجود والكرم والصبر والشجاعة والنجدة وصلة الأرحام والحياء، والحلم والأناة، والرفق. فأيّ شيء مِنْ هذه الأخلاق تحتاج إلىٰ تجديد؟!

❁ ❁ ❁

obeikandl.com

٧- القصص: لقد كثر ذكر القصص في القرآن الكريم، وامتلأت السُّنَّة المطهرة بأَحسَن القَصَصِ، والقَصَصُ الحقُّ الذي وراءه العبرة والموعظة والفائدة، والحقيقي الواقعي، وقصص الرُّسُل السابقين، فماذا نستطيع أنْ نُجدِّدَ أَو نضيفَ أَو نحذف؟!؛ ولكن يمكننا استنباط الفوائد والعبر والدروس التربويَّة، والحكمة في الدعوة، والصبر في الشدائد، واليقين في الله تعالىٰ ونصره لرسله والذين آمنوا.

❁ ❁ ❁

٨- الحدود: كالطلاق مرتان، والثالثة لا تَحِلُّ حتىٰ تَنكح زوجًا غيرَه، وحدُّ القذف وشرب الخمر وحدُّ الزَّاني والسَّارق والقاتل، وهناك حدود أمرَ الله تعالىٰ أَلَّا نقربها (كحدِّ الزِّنا)، وحدود أمر أَلَّا نتعداها (كالطلاق ثلاث مرات)، هذا بجانب الحدود في المواريث والزواج والطلاق وأحكام الشرع.

وهذه الحدود إنما شُرِعت لطهارة المجتمع، وشيوع الأمن واستقراره، وحمايةً للحقوق والأعراض. فماذا يمكن أنْ نُجددَ فيها؟! وقد قال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

❁ ❁ ❁

٩- السيرة والتاريخ والسُّنن: هذه السيرة وهذا التاريخ لا يمكننا اللعب أو العبث فيه، لا بالتجديد ولا بالتحديث؛ لأنَّها حقائق مضت، وكذلك السُّنن الإلهية كسُنَّة التداول. ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

❁ ❁ ❁

١٠- الحقائق التي أقرَّها الإسلام: كحقيقة: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾، وحقيقة: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾، وحقيقة: (الموت والروح). هل مِنَ الممكن أنْ يشملها التجديد؟!

١١- الأخبار الغيبية التي أخبر عنها: كعلامات السَّاعة، وخروج الدجَّال، وطلوع الشمس مِنْ مغربها، وأنَّ العلوَّ والسُّمو للإسلام، وأنَّ علوَّ بني إسرائيل علوٌّ مؤقَّت محدَّد، وأنَّ العزَّة لله ولرسوله وللمؤمنين، وفضل العلم والعلماء. كل هذه الأخبار ثابتة وهي من إرهاصات النبوَّة، ومنها ما وقع كالعُلوِّ في المباني (ناطحات السحاب)، وفشُوِّ القلم، وتقارب الأسواق والزمان، ومنها: ما لم يقع وسوف يقع لا محالة... فأيُّ تجديد يمكننا أنْ نتعامل به مع هذه الأخبار؟!

❁ ❁ ❁

١٢- سُنن الفطرة وسُنة النَّبي ﷺ: ومنها: قصُّ الشعر وحلق العانة، ونتف الإبط، وإطلاق اللِّحية، وقصُّ الشارب، والختان، وتقليم الأظافر، وآداب وسُنن الطعام والنوم، والتناكح والتناسل وغيرها.

كل هذه السُّنن ثوابت لا يمكن التعامل معها بحذف أو تطوير، ولكن يمكننا التعامل معها بالالتزام بها، وبأن نكون بها أكثر رُقيًّا وتقدُّمًا في تحقيقها والانتفاع بها، وأن نكون قدوة حسنة لغيرنا.

❁ ❁ ❁

١٣- الواجبات: كوجوب الجهاد والصلاة والزكاة والصيام والحجاب على المرأة المسلمة، ووجوب إتقان العمل، ووجوب القصاص، وغير ذلك مِنَ الواجبات الشرعيَّة، ووجوب برِّ الوالدين، وصلة الأرحام وغيرها.

❁ ❁ ❁

١٤- الحقوق: كحقِّ لله تعالى مِنَ العبوديَّة والمحبَّة، وحقِّ الرسول ﷺ مِنَ الطَّاعة والمحبَّة والاتباع والنصرة، وحقوق الآباء والأبناء، والكبير، والأمير، والأجير، والمتهم، والرضيع، والزوج، والزوجة، والبيوت، والبدن، والرحم،

والجار، وحقّ المال، والنفس والروح، وحقّ العلم والعلماء، والمربين، وحقّ حماية بلاد المسلمين مِنَ الفواحش والدفاع عنها، وحقوق أَهلِ الذِّمة، والمعاهدين والمكاتبين، وحقّ الحرية والاختيار، والتعبير عَنْ الرأي، والكسب والسكن، وحقّ الطريق، وحقوق المساجد، وحقوق العمل والعمال، وحقّ الإنسانية، وحقوق الحيوانات والطيور، وحقّ الدفاع عَنِ الدين والنفس والعرض والمال والشرف والعقل، وحقوق المرأة، وحقّ المريض، والفقير والمسكين، والمؤلفة قلوبهم، وحقّ الغارم، واليتيم، وعابر السبيل، وحتىٰ حقوق الجمادات والزروع، وحقّ المحافظة علىٰ البيئة وجمالها، إلىٰ غير ذلك مِنَ الحقوق التي نظمها الإسلام وهذَّبها وفصَّل فيها، فأيُّ تجديد أَو تطوير بعد هذا التفصيل مِنْ ربِّ العالمين؟!

❁ ❁ ❁

١٥- الفضائل: كفضل تربية البنات ورعاية الأَولاد، وفضل قيام الليل، وفضل الإنفاق في سبيل الله، والجهاد لإعلاء كلمة الله، وفضل القرآن، وفضل الأماكن: كمكةَ والمدينة والمسجد الأقصىٰ الذي بارك الله حوله، وفضل الرُّسُل، وفضل الإحسان والجود، وفضل الله علىٰ خلقه.

كل هذه الفضائل لا خلاف حولها، ولا جدال بشأنها.

❁ ❁ ❁

١٦- قيمة الأشياء: مثل قيمة الدنيا ومكانتها، وقيمة الآخرة، وأَنَّها **(خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ)**، وقيمة المال النافع مع الرجل الصالح، وقيمة الوقت، وهذه الأشياء أيضًا لا خلاف حولها.

❁ ❁ ❁

١٧- الأسباب والمسببات: كبيان أن العمل سببٌ في الكسب والرزق، والجد والمذاكرة سببٌ في النجاح، والإعداد والتدريب والتوكل على الله سببٌ في النصر وقبول الدعاء، وأن التداوي بالقرآن وبالعسل وسائر الدواء سببٌ في الشفاء.

وهذه أيضًا ثوابت لا نختلف عليها، ولا جدال بشأنها.

❁ ❁ ❁

١٨- القواعد: كالقواعد الفقهيَّة مثل: قاعدة «**الأمور بمقاصدها**»، و«**اليقين لا يزول بالشك**» والتي يندرج تحتها (**الأصل بقاء ما كان على ما كان، والأصل براءة الذمَّة، وما ثبت بيقين لا يرتفع إلَّا بيقين، والأصل العدم في الصفات والأمور العارضة، وإضافة الحادث إلى أقرب أوقاته، ولا عبرة بالتوهم، ولا عبرة بالظن البيِّن خطؤه**) ولا صلاة إلَّا بطهور، وما لا يتمُّ الواجب إلَّا به فهو واجب، وقاعدة «**العادة مُحكمة**» ويندرج تحتها: (**استعمال الناس حجّة يجب العمل بها إنْ لم تكن مخالفة للشرع، والعبرة للغالب الشائع لا النادر، ولا عبرة للعرف الطارئ، والكِتاب كالخِطاب، والمعروف عُرفًا كالمشروط شرطًا، والمعروف بين التجار كالمشروط بينهم، ولا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان، والمشقة تجلب التيسير**). ويندرج تحتها: (**إذا ضاق الأمر اتسع، وإذا اتسع الأمر ضاق، والضرورات تُبيح المحظورات، وما أُبيح للضرورة يُقدر بقدرها، وما جاء لعذر بطَل بزواله، والحاجة تنزَّل منزلة الضرورة، والاضطرار لا يبطل حقَّ الغير، وإن تعذر الأصل يُصار إلى البدل**)، وكقاعدة «**مَنْ لم يعرف الهدم لا يعرف البناء**»، وقاعدة «**لا ضرر ولا ضرار**» (**أو الضرر يُزال**) ويندرج تحتها: (**الضرر لا يُزال بمثله، والضرر الأشد يُزال بالضرر الأخف أي: يختار أهون الشرين أو أخف الضررين، ويتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام، ودرء المفاسد أولى مِنْ جلب**

المصالح، وإذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام)، وغير ذلك مِنَ القواعد التي تُسَهِّلُ على الناس فهمَ دينهم وأمورَ دنياهم.

❁ ❁ ❁

١٩- تجويد القرآن: وكيفية تلاوته، وقواعد تفسيره وتدبُّره، وتيسير فهمه، والعلوم الخادمة له مِنَ اللُّغة العربية، وعلوم القرآن، وعلم القراءات كل هذه ثوابت لا خلاف عليها ولا جدال حولها.

وكذلك آيات القرآن الكريم، وأحاديث النَّبيِّ ﷺ الصحيحة ثابتة ومحفوظة من العبث والنقصان والتبديل أو الإضافة أو النقص. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

❁ ❁ ❁

٢٠- غايات الإسلام من المحافظة على: (الدين والعقل والنفس والعرض والمال) ثوابت لا يمكن صرف الناس عنها، وأنَّ الوسائل والطرق الموصلة للأهداف والغايات لا بُدَّ أن تكون مشروعة، فالغاية لا تبرِّر الوسيلة في الإسلام، ولكن لا بُدَّ أنْ تكون الغاية مشروعة، والوسيلة إليها مشروعة، حتى في النيَّة فالعمل الفاسد أو المحرَّم لا يمكن ولا يصلح أنْ يكون مباحًا أو مقبولًا بالنيَّة.

❁ ❁ ❁

ومجموع ذلك كله في القرآن والسُّنة: فهما قرينان لا يفترقان، وهما الدينُ بكمالِه وتمامِه، لا غنى لأحدِهما عَن الآخر، وكلاهما وحيٌ مِنَ الله تعالى لرسوله محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

❁ ❁ ❁

◘ المتغيرات :

١- كلُّ ما سكت الله عنه رحمة بالناس؛ كما ورد في الحديث: **{ إِنَّ الله تَعَالى حَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَفَرَضَ لَكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَتَرَكَ أَشْيَاءَ مِنْ غَيرِ نِسْيانٍ مِنْ رَبّكُمْ، وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْهُ لَكُمْ فاقْبَلُوهَا وَلَا تَبْحَثُوا فِيهَا}**(١).

❁ ❁ ❁

٢- كل ما ينفع الناس: مِنْ شئون الدنيا، كالزراعة والصناعة والتجارة وتعمير الأَرض، وكل ما هو معارف العصر: منَ الكيمياء، والفلك والفضاء، والتكنولوجيا والذرَّة، والطب والهندسة والزراعة، والتجارة والاستثمار الأمثل والأنفع لتعمير الكون وبناء الأرض.واختراع الأَجهزة الحديثة واستعمالها، وغير ذلك مما لخصه مَنْ أُوتِيَ جوامِعَ الكلم ﷺ بقوله: **{ أَنتُم أَعلَمُ بأَمْرِ دُنْيَاكُم }**(٢).

❁ ❁ ❁

٣- نظم الحكم والسياسة والإمارة وتسييس أمور الدولة، ووضع الدواوين والنظم المالية والإدارية والمرورية، شريطة عدم الاستبدال بما ورد بشأنها شيء في الإسلام؛ كاستبدال نظام الشورى مثلًا بنظام الديمقراطية، وشتَّان بين شرع الرحمن، وشريعة الإنسان، وكنظام اختيار البطانة الصالحة مقارنة بنظام الترشيح والانتخاب الكثير المعايب والمفاسد، ففي الإسلام نُولِّي مَنْ يَصْلُح، ولا نولي الأمر أحدًا طلبه أو حَرِصَ عليه إلَّا أنْ يكون أهلًا له، وليس عندنا إجماع يُحِل حرامًا أو يُحَرِّم حلالًا، أَو يشفع في حدٍّ مِنْ حدود الله تعالى، وفي الإسلام ليست العبرة بالكثرة

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٢٩) مِنْ حديث أبي ثعلبة الخشني ﷺ.
(٢) سبق تخريجه.

وإنما بالقرب من الحق، والحكم لله تعالى وليس للشعب إلَّا فيما سكت عنه الحق ﷻ.

❁ ❁ ❁

٤- المشاركة الإيجابية والاتحاد الإسلامي: وهذا هو أهم شيء يحتاج إلى جهود وعقول للخروج مِنْ أزمة التخلف والتبعية، والعودة إلى قيادة البشرية مِنْ جديد، والتي هي اليوم في أمس الحاجة إلينا بعد أنْ أنهكتها الحضارة الغربية، وجعلتهم يعيشون في أوهامٍ مِنَ الخوف والقلق والاضطراب.

فما أحوجنا إلى قيام الاتحاد العربي الإسلامي ليس تقليدًا للاتحاد الأوروبي أو الولايات المتحدة، إنما على غرار الخلافة الإسلامية والتزامًا بما أمر الله ﷻ به، ودعا إليه، وحذرنا مِنْ مغبّة الفُرقة والاختلاف، وهو سبحانه وصفنا بأننا أُمَّةً واحدة، وأَنَّ التشرد والتشرذم فيما أراده لنا الأعداء أنْ نكون فرقًا وأحزابًا.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون].

❁ ❁ ❁

٥- السعي إلى الحرية: التي هي ضد الاستعباد والاستبداد، وهي السبيل إلى الإبداع والترقي والتنمية، وهي المناخ الذي ينمو فيه الاستثمار والازدهار. وليست الحرية بمعنى الإباحية والفوضى، إنما عندنا أن الحرية في الإسلام تعني العبودية لله تعالى، والعقل السليم، وأداء التكاليف الشرعية ولا حرية على معناها الحقيقي إلَّا في الجنة، لأن أصحابها فقط لهم فيها ما يشاءون ولهم فيها ما يشتهون.

والله ﷻ وحده «فعال لما يريد»، «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون».

٦- التفكير والإبداع والتخطيط: بدلًا مِنْ أنْ نُشغِلَ أنفسنا بأمورٍ تزيد مِنَ الفرقة والعداوة والبغضاء، عندما ننادي بتجديد الدين بالمفهوم الغربي أَو بمفهوم دُعاة التحرر مِنَ الملاحدة والعلمانيين وأَرباب الحداثة مِنَ المنافقين والفاسقين.

لكن دعونا نتفق على حاجتنا إلى التفكير في ذواتنا، وكيف نرتقي بها، فَمَنْ نحن؟

• مَنْ يكون مِنْ خير أُمَّة أُخرجت للناس؟ انظر خير أُمَّة! لم يقل: خير دول أَو مدن أو بلاد وأقطار.

• مَنْ يكون خير البريَّة؟

• مَن الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران] فالعلوُّ والقوَّة، وعدم الحزن واليأس مِنْ شروط المؤمن الأعلى.

• مَنْ خصَّه الله تعالى بالكرامة بين البشر بمِسك الختام مِنَ الأنبياء والرسالات والكتب والأمم.

• نحتاج إلى التفكير للنظر في عيوبنا ومشاكلنا، وما وصلنا إليه مِنْ قومية بَغيضَة، وحدود مصطنعة، وأجناس متناحرة.

• كيف السبيل لعمل مشروع حضاري يُعيد للأمة المسلمة توازنها، ويُعالج سلبياتها، ويُعيد صياغة عقول حكام العرب والمسلمين قبل الشعوب والأَفراد قبل أنْ تصل بنا التبعيَّة إلى ما وصل إليه العراق ولبنان وفلسطين والصومال وأفغانستان وليبيا وسوريا واليمن والسودان، وغيرهم؟، نريد من يحيي في الأمة فريضة الجهاد ويحضها عليه ويدعوها إلى الإعداد حتى يكف الله سبحانه عنَّا:

(١) بأس الذين كفروا.

(٢) حتىٰ لا يكون لهم السَّبْق، فإنهم لا يُعجزون.

(٣) حتىٰ ننال نصر الله تعالىٰ بنصرته جلَّ وعلا.

• نحتاج إلىٰ الإبداع والدقة والإتقان في أعمالنا ومنتجاتنا لكي تصل إلىٰ جودة أعلىٰ من المنتج الأجنبي.

• نحتاج إلىٰ إبداع في استغلال ثرواتنا وأموالنا الإسلامية والعربية، فلا نودعها عند الغرب؛ بل يجب أن ينتفع بها أبناء الأمة الإسلامية.

• نحتاج إلىٰ إبداع في شتىٰ مجالات الإنسانية، وخاصة التربويَّة والعلميَّة والثقافيَّة لنعيد بناء الذات، ونتعلم صناعة التميز في الحياة.

• نحتاج إلىٰ إبداع في تحقيق الإيجابية والواقعية في التغيير.

• نحتاج إلىٰ أنْ نُحسن التخطيط، والتدبير.

• نحتاج إلىٰ أن نكون أُمَّة الكرم مِنَ الله تعالىٰ الملازمة للقراءة النافعة.

• وأُمَّة القراءة ببسم الله، وإخضاع العلوم والمعارف لذلك حتىٰ تكون نافعة للبشريَّة لا مدمِّرة لها.

• أمَّة التناسب والتوازن بين المعارف وما تحتاجه الإنسانية.

• أمَّة القلم الذي يجب أنْ لا يفارق المسلم ليدون به ما يصل إليه همُّه وفكره بحل مشاكل المسلمين وحمل همومهم، القلم الذي يُعاين به نقاط القوَّة المتوفرة فينا، ونقاط الضعف، والتهديدات في الداخل والخارج، ويعاين الفرص المتاحة أمامنا، والمستقبل المنشود والمأمول لنا.

• أمَّة البحث في الأرض وعلومها؛ لأنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق].

❁ ❁ ❁

◘ وقفات مع سورة «العلق» :

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۝١٩﴾ [العلق].

١- هي أول ما نزل مِن القرآن على الراجح، وأول أمر للنَّبيِّ العدنان ﷺ.

٢- القراءة ببسم الله، والتوجيه من الإله الخالق، فهناك علاقة بين القراءة وتحقيق الغاية مِنَ الخلق: (الخلافة في الأرض، تحمُّل الأمانة، تحقيق العبوديَّة لله تعالى).

٣- إذا وصل الإنسان بالقراءة وتبحَّر في أي علم مِنَ العلوم، فلا يُصبه الكبر أَو العُجب أو الغرور؛ لأنَّه خُلِق مِنْ علق.

٤- مِنْ كرم الله تعالى كرمٌ خاصٌّ لمحبِّي القراءة والمنتفعين بتوجيهات الله سبحانه فيها. (اقرأ وربك الأكرم).

٥- صاحب الفضل والمنَّة في العلم والفهم والإدراك هو الله سبحانه الذي وهب للإنسان العقل الذي يفهم ويتدبر.

٦- دعوة لتسجيل العلم بالقلم الذي يحتاج إليه الإنسان بصفة مستمرة كالقرآن والسُّنَّة، وسائر العلوم.

٧- سيظل الإنسان محتاجًا لكل جديد مِنَ العلم، وكلما ازداد الإنسان علمًا استقر في وجدانه أنَّه مازال حاملًا لعلوم أخرى يفتح الله تعالى بها عليه.

٨- مع كرم الله تعالى على الإنسان بالخلق تميزه عَنْ العجماوات بالعلم لكنَّه

يطغى، وقد يتنكَّر لفضل الله تعالى عليه، ويتعالى على خلقه بهذا العلم. وقد يظن أنه قد استغنى عن ربِّه تعالى بما عَلِمَه مِنْ علوم، ووصل إليه مِنْ مخترعات. وهذا كثير بين الناس، والله تعالى يُحذِّره أنه مالك الحياة، وأنَّ المرجع إليه، وأَنَّ هذه حقيقة لا خلاف فيها، ولو وضعها الإنسان أمام عينيه لن يطغى أو يتكبر على خالقه أَو الناس.

٩- هناك نوعٌ مِنَ العقول ضلَّت بعقلها وفكرها وقراءتها، فأمدَّت البشريَّة بقيح مِنَ الأفكار والآداب تقيأته البشريَّة، وتجرَّعت سمومها وصديدها، حتى ظهر مَنَ ألحد، ومنْ فَضَّلَ قوله على قول الله وقول رسوله.

١٠- يأمر الله ﷻ حبيبه وأتباعه ألَّا يستمعوا لدعاوي هؤلاء، وألا يُطيعوهم فيما يدعون أَو يقولون، وأنْ يستمروا على السجود؛ لأَنَّه هو الذي يقربهم دائمًا إلى الله تعالى، وفي الحديث: **{ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّه وَهُو سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ }**(١)، وعليك أنْ تتخيَّل وأنت ساجد أَنَّ بابًا فُتِحَ بينك وبين الله تعالى فانظر بِمَ تدخل عليه، وما تطلبه منه. قال تعالى: ﴿**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب**﴾.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم ك: «الصلاة» ب: «ما يُقال في الركوع والسجود» ح: (٤٨٢) عن أبي هريرة ﷺ.

▫ التخطيط سنة نبوية:

سألت سؤالًا في إحدى المحاضرات وقلت: متى فكر رسول الله ﷺ في الهجرة مِنْ مكة إلى المدينة، وكان ذلك في السَّنةِ الثالثةَ عشْرة مِنَ البعثة المباركة؟

فأجاب كثير مِنَ الحاضرين: أَنَّ ذلك كان في عام الحزن لما ردَّه أَهل الطائف، ومات نصيره مِنَ البشر **عمّه أبو طالب، وزوجته خديجة** رضي الله عنها واشتدّ إيذاء الكفار له.

• لقد فكَّر رسول الله ﷺ في الهجرة منذُ أولِ يومٍ في البعثة لما جاءه جبريل عليه السلام بأول آيات مِنَ القرآن الكريم، ثم ذهب إلى ورقةَ بنِ نوفل ابنِ عمِّ خديجة، وكان راهبًا نصرانيًّا مِنْ بقايا الرُّهبان الصالحين، فحكى له ما رأى، فقال له: إنك نبيُّ آخر الزمان وسوف يُخرجك قومك.

فقال له ﷺ: «**أَمخرجي هم؟!**» قال له: نعم.

فَعَلِم النبي ﷺ أَنَّه سوف يخرج مِنْ مكة، وفكَّر إلى أين؟!

ومنذ ذلك الحين وهو ﷺ يُفَكِّر ويدرس طبائع الشعوب وعاداتهم، والبيئة والمناخ الذي يعيشون فيه، وذلك طيلة ثلاثة عشر عامًا، يُفَكِّر ويُخطط حتى شرح الله صدره للمدينة النَّبوية بعد نجاح الدعوة فيها، ومناسبة المكان والمناخ والعادات والتقاليد، وعدم وجود حضارة بها كسائر البلاد، وحتى لا يختلط فهم الإسلام مع حضارات أو ثقافات أخرى، وعدم وجود زراعات أو صناعات تمنع أهلها مِنَ الخروج مع النبيِّ ﷺ لنشر الدين ورسالة الله وتعاليمه في شتى بقاع الأرض.

اعترض بعض الجالسين وقال: إنَّ هذا الكلام لم يقل به أحد من علماء السلف الأوائل، وهذا مِنْ كلام العلماء المعاصرين.

فقلت له: وهل في هذا الكلام مخالفة للكتابِ والسُّنَّة؟ إنَّ هذا الكلام ما هو إلَّا تحليل للأحداث، واستنباط للأحكام، وتوضيح للحقائق، كما كان يفعل الفقهاء والسلف الصالح، فالنَّبيّ ﷺ كان يُفَكِّر في مدينة هَجَرٌ (الهفوف حاليًا)، ويثرب (اسم المدينة آنذاك)، حتى جاءه الأمر بالهجرة إلى المدينة المنورة.

❁ ❁ ❁

• فلماذا تركنا هذه السُّنَّة النبويَّة العظيمة لغيرنا؟ لماذا لا نُخَطِّطُ للوصول إلى الفردوس الأعلى مِنَ الجنة؟!

• لماذا لا نُخَطِّطُ أَن نعود لوحدتنا وأمَّتنا وعزَّنا ومجدنا؟!

• لماذا لا نُخَطِّطُ في إعادة تحرير بعض بلاد المسلمين المحتلَّة وخاصة المسجد الأقصى؟!

• لماذا لا نُخَطِّطُ في مشروع النهضة بهذه الأمَّة في شتَّى المجالات حتى تعود لنا الريادة للبشرية كما كنا قرونًا طويلة ؟!

هذه مجالات كبيرة وواسعة تحتاج منَّا إلى تجديد وتطوير وتحسين وإبداع، أفضل بكثير مِنْ أنْ ندخل في خلافات وحوارات، وننشغل بأمور محسومة شرعًا وعرفًا؛ ليصرفنا بها أعداؤنا عن مهمتنا الأساسية في تبليغ هذا الدين، وقيادة البشريَّة إلى الله ربِّ العالمين.

❁ ❁ ❁

وقفة

- إنَّ الراحة تكمن في أداءِ العمل الصالح، ونفع الآخرين، والانتفاع بالوقت.
- السعادة تكمن في قيامك بواجبك تجاه الخالق جلَّ وعلا، ثم تجاه المخلوق.
- هو عبءٌ على الحياة ثقيلٌ من يظن الحياة عبئًا ثقيلًا.
- صنائع المعروف تقي مصارع السوء.
- فَكِّرْ وكُنْ شاكرًا، ولا تغضب.
- تَعَرَّفْ إلى الله في الرخاء يَعْرِفْكَ في الشدَّة.
- خيرُ الأمور أوسطُها.
- البرُّ ثلاثة: المنطق، والنظر، والصمت، فمَنْ كان منطقة مِنْ غير ذكر فقد لغا، ومَنْ كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومَنْ كان صمته في غير فكر فقد لها.
- لا تمض يومك في غير منفعة، ولا تضع مالك في غير صنيعة.
- قيمة كل امرئ ما يُحسن.
- الروح والفرح في اليقين والرضا، والهمُّ والحزن في الشكِّ والسخط.
- مَنْ صبر قدر، ومَنْ صبر ظفر، ومن صبر بلغ المنى، ومَنْ اتبع الصبر اتَّبعه النصر.
- اجعل للأشياء ثمنًا معقولًا، فإن الدُّنيا لا تساوى نفس المؤمن.
- إذا كان ترك الشرِّ يكفيك، فَدعْهُ.
- بالصبر والاحتمال تَغْلِبُ الرجال.

❁ ❁ ❁

obeikandi.com